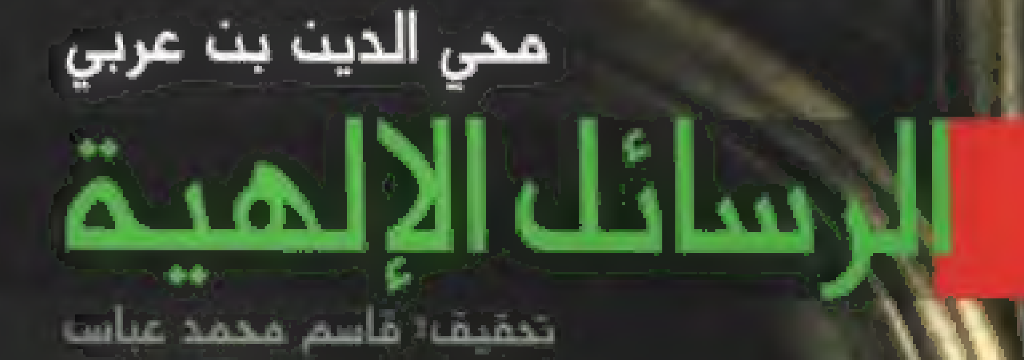

محي الدين بن عربي
الرسائل الإلهية
تحقيق: قاسم محمد عباس


مكتبة
الفكر الجديد



رسالة المحبة

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن للمحبة أربعة ألقاب:

منها الحبّ: وهو خلوصه إلى القلب وتنقيته عن كدورات العوارض، فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبه.

واللقب الثاني: الودّ، وله اسم إلهي، وهو الودود، والودّ من نعوته، وهو الثبات فيه، وسمّي الودود لثبوته في الأرض.

واللقب الثالث: العشق، وهو إفراط المحبة، وكنّى به بشدة الحبّ في القرآن العظيم في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[1]، وقوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[2]، أي صار حبّها ليوسف عليه الصلاة والسلام على قلبها كالشغاف، وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب، فهي ظرف له، فتحيط به، وقد وصف الحق نفسه بشدة الحب، غير أنه لا يُطلق اسم العشق والعاشق عليه تعالى.

واللقب الرابع: الهوى، وهو استفراغ الإرادة في المحبوب، والتعلق به في أوّل ما يحصل في القلب، وليس لله تعالى منه اسم، وقلنا فيه:



علقتُ بمن أهواه عـــشــرين حـجــة
فلم أدر من أهوى ولم أعــرف الصبــرا
ولا نظرت عـيني إلى حـسـن وجـهـهـا
ولا سـمـعـت أذناي قط لـهــا ذكــرا
إلى أن تراءى البـرق من جانب الحمى
فتـغـــمـتني يومـــاً وعـــذبتني دهرا

وقلنا فيه أيضاً:
علقتُ بمن أهواه من حـــيـث لا أدري
ولم أدر مَنْ هذا الذي قـــال : لا أدري
فـقـد حلت في حالي وحالت خـواطري
وقـد حـارت الحـيـرات فيَّ وفي أمـري
فـبـينا أنا من بعـد عـشـرين حجـة
أترجم عن حب يعـــانقــه سـنـي
فلم أدر من أهوى ولا أعـرف اسـمـه
ولم أدر من هذا الذي ضـمـه صـدري
إلى أن بدا لي وجـهـهـا من نقـابهـا
كـمـثل سـحـاب الليل أسـفـر عن بدر
فـقلت لهم : من هذه ؟ قـيـل : هذه
بنيـــة عين القلب بنت أخي الصـــدر
فكبَّـرتُ إجـــلالاً لهـــا ولأصلهـــا
فليلي بهـــا أربى على ليلة القـــدر



واختلف الناس في حدّه، فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذاتي، بل لا يتصور ذلك، فما حدّه من حدّه إلاّ بنتائجه وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد اتصف به الجناب العزيز، وهو الله عزّ وجل، وأحسن ما سمعتُ فيه ما حدثنا غير واحد عن أبي العباس ابن الصنهاجي رحمه الله تعالى، قالوا سمعناه يقول وقد سئل عن المحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة، والغيرة تأبى إلاّ الستر، فلا تُحدّ.

وألطف ما في الحب وجدته، وهو أن تجد عشقاً مفرطاً، وهوى وشوقاً مقلقاً وغراما ونحولاً، وامتناع نوم، ولذة الطعام، ولا تدري فيمن، ولا بمن ؟ ولا يتعين لك محبوبك، وهذا ألطف ما وجدته ذوقاً، ثم بعد ذلك بالاتفاق، أما يبدو لك تجلياً في كشف فيتعلق الحبّ به، أو ترى شخصاً فيتعلق ذلك الوجد تجده به عند رؤيته، فتعلم أن ذلك كان محبوبك، وأنت لا تشعر، أو يُذكر الشخص فتجد الميل إليه بذلك الهوى، فتعلم أنه صاحبك، وهذا من أخفى دقائق استشراف النفوس على الأشياء من خلف حجاب الغيب، فيجهل حالها، ولا تدري بمن هامت، ولا فيمن هامت وما هيَّمها ؟ ويجد الناس في ذلك القبض والبسط الذي لا يعرف له سبب، فعند ذلك إما يأتيه ما يحزنه، فيعرف أن ذلك القبض كان لذلك الأمر، أو يأتيه ما يسرّه فيعرف أن ذلك البسط كان لهذا الأمر، وذلك لاستشراف النفوس على الأمور من قبل تكوينها في تعلق الحواس الظاهرة، وهي مقدمات التكوين، وبنسبه ذلك أخذ الميثاق على الذرية بأنه ربنا[٣٣]، فلم يقدر أحد على إنكاره بعد ذلك، فيجد في فطرة كل إنسان افتقاراً لموجود يستند إليه، وهو الله تعالى، ولا يشعر به بعد ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاسُ أنْتُمُ الفُقَراءُ إلى اللَّهِ﴾[٣٤]، يقول



له: ذلك الافتقار الذي تجدونه في أنفسكم متعلقه الله لا غيره، ولكن لا تعرفونه، فعرّفنا به الحق، ولما ذقنا هذا المقام قلنا فيه:

علقت بين أهواء عشرين حجة

بالتمام إلى آخره، والله تعالى أعلم.

تم في مكة.

